محمد الفيتوري

ياقوت العرش

وقصائد مختارة

الكتاب: ياقوت العرش وقصائد مختارة

الشاعر: محمد الفيتوري

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
E-mail: news@apatop.com http://www.apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

الفيتوري، محمد
ياقوت العرش وقصائد مختارة / محمد الفيتوري
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٤٩ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٨ – ١١٤ – ٤٤٦ –٩٧٧ –٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٠١٢٦ / ٢٠٠٨

ياقوت العرش



العودة إلى أرض الغربة

تحلم بنار القناديل
وتحلم المعاول
برجفة الحقل، وشهقة السنابل
وتحلم الصحراء ذات القمر المشنوق
بالقوافل
والجبل المهجور بالزلازل
وتحلم البحارة الغرقى..
بأضواء المنارات..
وأعشاب السواحل
وتحلم المقاصل
بالموت، والقناع..
مصلوبا على الأبواب والمداخل
وتحلم البنادق
بالدفء في أيدي الجنود..
والدجى الصخري بالحرائق
وتحلم الحبال والمشانق
والأفق القديم.. والدفوف..
والبيارق..

بأوجه الخطاه
والمهرجين.. والطغاة
والملوثين.. الخونة
ذوي الشفاه النتنة
مطأطئين
معلقين
في سقوف الأزمنة

***

أحلم.. ثم أنفض الدهشة
عن عيني..
أستغرق في شعبي..
من يوقظني؟
من الذي يدق سجني؟
من يهزني؟
يخلع بوابة تاريخي..
يضيئني
يخلقني
ينثرني حبة رمل في حبال وطني
يكتبني حرفا صغيرا
في نضال وطني!

***

أحلم أنني لقيته

وأننا تعانقنا معا
وأنني غفوت في قصر
النعاس الخشن
هنيهة على ذراع وطني
وأنني..
وأنني..
يا أيها العائد من غربته
يا وطني!

١٩٦٩/٦/١

ابتسمي حتى تمر الخيل

الإهداء

إلى تلك التي تعبق في وجودي كله:
وتغزل رؤيا الشاعر وموسيقى الشعر

م.ف .

هذا مسار نجمهم..
أيتها الحبيبة، الغريبة
الحبيبة الكئيبة
الحبيبة، الجمال والدمامة
هذا مسار نجمهم..
يركض في الزاوية الكبرى
قليلا..
ثم ينهار رمادا..
راسما في جبهة الشرق وعينيه
علامة
شهادة الميلاد، والموت
وشارة القيامة
فابتسمي
حين يجيء قمر الثورة في أردية

القتلى

ويمشي الهودج الأسود محمولا

على محفة الأصيل

ابتسمي

حتى تمر الخيل

والبيارق المذهبة

فالخيل ليست خيلنا نحن..

ولا الصهيل..

واختبئي في مطر الضفائر

المضطربة

وكبرياء حقدك الجميل

فالبطل القتيل

ليس هو القتيل

وأنت يا حبيبتي المعذبة

متعبة

أعرف يا كم أنت جد متعبة

الدم والطاعون في الثديين

والمخلب، والمنقار حول الرقبة

والليل، والأغربة العرجاء

والوحشة، والرحيل

***

هذا مسار نجمهم..
هنيهة، ثم يغيب النجم
لن يمكث إلا ريثما ينهمر الغيم..
وتصحو زهرة التاريخ..
لن يجتاز بحر الموت إلا
قدما حبيبتي..
العاريتان
القدما، الموجتان..
الشنعلتان، القلعتان..
لن تغني شفة عاشقة
في شفة عاشقة
إلا إذا تبسمت حبيبتى
والنجم لن يمضي بعيدا
– آه.. يا عيني على الجرح
الذي يصبح متراسا..
على قافلة الموت التي
تبني جدار الموت..
يا عيني عليها..
وهي بين الصخر والبحر..
وآلاف المناقير..
وآلاف المخالب..

– أنت يا من يتعال اسمك

بين الصخر والبحر..

هم الساعة، آلاف المناقير

وآلاف المخالب

لكي تصيري حبة القمح..

سيأتونك في أجنحة الريح..

وأصوات الغرانيق

وأنفاس الحرائق

لكي تصيري درة السبي..

سيأتونك بالتيجان والبيارق

وكلمات الله، والبنادق

لكي يروا مشنقة الثورة في عينيك

لا.. ليس سوى.. مشنقة الثورة في عينيك

لا.. ليس سوى..

فابتسمي..

أيتها الحبيبة الغريبة..

الحبيبة الكئيبة

الحبيبة، الجمال والدمامة

***

هذا مسار نجمهم..

يركض في الزاوية الكبرى..

قليلا

ثم ينهار رمادا

نجمهم علامة..

شهادة الميلاد والموت..

وشارة القيامة!

أقوال شاهد إثبات

عبر الدهاليز الطويلة..
التي تختال في قاعاتها الضيقة السوداء
آلهة الموت صفوفا
ناشرات خلفها الصمت والانطفاء
مشيت محكوما..
تعريت من الذكرى
رقصت رقصتي القاسية الحزينة
كان دمي مئذنة، وجسدي مدينة
غنيت للجنون كيفما أشاء
أصغيت مثلما أشاء
كنت كمن ليس يبالي
أنا والتاريخ..
والنار التي تخرج من جمجمتي..
صاعدة إلى السماء!

–٢–

ثمة شيء
إنني أعترف الآن
لقد رأيتهم..

إني رأيت القتلة
مروا على عيني
وكانوا يصخبون كالطيور الجارحة
كانوا قضاة يحملون الأسلحة
ويمضغون الكتب المنزلة
وكدت لا أفهم ما يحدث
ما أبشع ألا يفهم الإنسان ما يحدث
– ماذا تصنعون؟
اقتربوا..
فاقتربوا..
وأمطر الفجر الرمادي رصاصا ودماء
ومالت الأشجار في حديقة الله
وغطت وجهها السماء
– لم تقتلوا البذرة..
لم تقتلعوا الصخرة..
قلت اقتربوا..
فاقتربوا
وكشفت عن وجهها الهزيمة
واقتربوا..
وعلقوا صلبانهم في عنقي تميمة
واختلطت في ناظري الثورة والجريمة

وكدت لا أفهم ما يحدث..
ما أبشع أن نفهم ما يحدث..
ثم أشعلوا جنازتي
وطفقوا يتسحون بالرماد فواحدا
كانوا يلوحون في وجه الإله
بالنعال والمدى
– جريمة أخرى..
سدي تصبغ أيديكم..
ولما تفرغوا بعد من الجريمة القديمة
أنبئكم..
لن تفلتوا غدا
من قدر الولادة الأليمة
ومن مخاض الأمة العظيمة

–٣–

والتصق الصراخ في فمي:
الجناة.. التتريون.. الضحايا..
الأسلحة..
بيارق الثورة في الوحل..
الزناة اغتصبوا السلطة
لم تنج من اللعنة حتى الأضرحة

يا وطني..!
لم تنج حتى حرمات الأضرحة

-٤-

سأعترف
يا من ستأتون غدا
أني وقفت لم أحرك شفة ولا يدا
وأنني في قمة العصر..
شهدت المذبحة!

رحلة... في عيون بلادي

فجأة، تحت سقف الظهيرة
كامرأة خائفة
تطفئ الشمس قنديلها
ثم ترحل في العاصفة
راحل في عذابي أنا
مثلما ترحل الشمس في رحم العاصفة
راحل في عيون بلادي
المليئة بالدمع
ها نحن ذا يا بلادي
نتقابل ثانية..
في متاهات العصر الرماد

***

راحل، وطني البرق
يا ويلنا، أين أمضي؟
ارحل فى
يرتحل الجرح والأرض
فالجرح جرحي، والأرض أرضي
وأنا الريح والمدخنة
ارحلي فى، يا قطعة النجم..

ترتحل الأزمنة

***

ما الذي أسكت الكلمات؟

تآكلت الكلمات

تمرغت الكلمات

ارحلي في..

قلب المغني حزين

وعين الملايين غارقة في السبات

***

ما الذي جعل الضحكات

نزيف جراح قديمة

غائرات الحفر

أنت أم أن طير الهزيمة

حط فوق غصون الشجر

***

ارحلي في، مثل الطيور الغريبة..

راحلة أبدا..

تنقر الأفق بالشوق والذكريات

– سفحت عطرها غابة الشوق والذكريات

ارحلي فى، لا سأما لا انهيارا

لا احتفالا بسقطتنا، لا انكسارا

نحن لم ننكسر

حينما انكسرت قامة الضفدعة
نحن لم ننهزم
إنما سقطت عن وجوههم الأقنعة



الوصايا القديمة

يومها كانت الشمس
مذبوحة في دمي
وأنا أتقطر نشوان بالحزن
فوق الطريق
انظريني
أنا ملك الغربة المتقاطر بالحزن
فوق تراب الطريق

***

البلاد التي أمطرت أنجما
وهي تغزل أردية الساقطين
بلادي
سيجت تاريخها بجفوني
وأشعلت روحي مبخرة
وتقوست أذرعة
وابتهلت إليها
– ارجعي يا بلادي.. ارجعي
إنهم يحملون الجنائز والموت في دمهم
يكتبون الوصايا القديمة
في فجوات العيون

إنهم ميتون
– ارجعي
آه لو لم يعدك الصدى
آه لو لم يعدك الصدى
آه..
واختبأت في الضباب بلادي
وتغربت في شفتيها
تغربت في مقلتيها
تغربت بين يديها
وأركض بالريح والموج
ثم أعود إليها
– البلاد بلادي
فلماذا إذن يولد الموت
في كل أغنية في بلادي
ولماذا قباب النبيين والشهداء
مجللة بالسواد!
ولماذا تجوع المحاريث
في مهرجان الحصاد

***

لماذا تظلين أجمل؟
يأخذني النهر المتدفق منك إليا

تظلين أجمل في مقلتيا
أنا الطائر الأبدي.
الذي تتغنى به المدن النائيات
الذي تتماوج فيه الموانئ والسفن الضائعات
لماذا تظلين أنت الشهادة والغيب..
أنت النبوءة والشعر.
أنت هي الأرض والذكريات!
لماذا؟
لماذا؟
لماذا؟

***

تقولين أنت..
ويفجؤني السر
أسقط في خرس الأرض
أسقط كالأرض
تحتلني كبرياء الهزيمة
– هل أنت في جسدي كبرياء الهزيمة.
تثقب كل حوافرهم في عظامي.
– هل أنت كل حوافرهم في عظامي.
هل أنت درب غيابي؟
شمس حضوري؟

لون اشتغالي؟
سيف انتقامي؟
أواه .. لو كنت أعرف من أنت؟
يا نصبا رائعا من حطام البطولة
يا شفقا من عيون التوابيت؟
يا وجه قديسة من رخامَ!

نقش على شفتين

نقشوا اسمك في شفتي..
وكانت بيروت الغجرية معشبة القدمين
يستلقي معطفها الوحشي كسولا
في ظل الكتفين
وقبعة من ريش نعام
تقضم أطراف الأذنين
ويرقرق دمعته قلب العقد المآسي
وتسقط من فم مولاتي القاسي
ضحكات العام
ويمر خلال الضوء غلام
– بيروت عجوز تلبس زينتها
في كل مساء
لكلاب الصيد.. والغرباء
أما نحن الفقراء!
ويحرك كالمجنون يديه
ويبصق في استعلاء
والليل الشتوي السنجابي الأحلام
يتوارى في غابات الأرز
بعيدا عن وهج القاعات

والبالونات
وأشجار الميلاد
والساعات المتلاصقة الأقدام
تترقب شاحبة
خطوات القادم عبر ممرات الأيام
***
ويطل يسوع..
الثلج يغطي بردته البيضاء:
– ها أنت أتيت
غريبا يقطر وجهك حزنا
حيث مشيت
مسيرة ألفي عام
لا خبزك أنت ولا ملح الأديان
الحق أقول..
الخالق والمأساة هو الإنسان
ويغيب يسوع
***
وتلوح وجوه الاثني عشر
– الأسفار اهترأت
ما بين دخان التبغ وضوضاء الحانات
وحواة السيرك، وفرسان الحلوى
وملوك الصالونات

عودوا لمغارتكم
فالعالم لم يعد العالم
وابكوا.. ابكوا
فيهوذا الحائن فوق محفته الملكية آت
وتغيب وجوه الاثني عشر
ويخضر اسمك في شفتي
كالنقش الفرعوني
على قبر منسي
كالنقش على أعناق الطير
علي جلد الحيتان
كالنقش على أكتاف أمير أفريقي
كان اسمك في شفتي
منقوشا منذ استيقظت الأكوان
وأتيت العالم طفلا
أغرقه الطوفان
فأخطأت الرؤيا عيناه
ومت سنينا
ثم بعثت
وها أنا ذا يا مولاتي
أستغرق في رؤياه

بيروت — ١٩٧٦



معزوفة لدرويش متجول

شحبت روحي، صارت شفقا
شعث غيما وسنا
كالدرويش المتعلق في قدمي مولاه أنا
أتمرغ في شجني
أتوهج في بدني
غيري أعمى، مهما أصغي، لن يبصرني
فأنا جسد.. حجر
شيء عبر الشارع
جزر غرقى في قاع البحر
حريق في الزمن الضائع
قنديل زيتي مبهوت
في أقصى بيت، في بيروت
أتألق حين، ثم أرنق ثم أموت
***
ويحي.. وأنا أتلعثم نحوك يا مولاي
أجسد أحزاني..
أتجرد فيك
هل أنت أنا؟
يدك الممدودة أم يدي الممدودة؟

صوتك أم صوتي؟

تبكيني أم أبكيك؟

***

في حضرة من أهوى

عبثت بي الأشواق

حدقت بلا وجه

ورقصت بلا ساق

وزحمت براياتي

وطبولي الآفاق

عشقي يفني عشقي

وفنائي استغراق

مملوكك.. لكني

سلطان العشاق!

بيروت – ١٩٦٧

ليس في الياسمينة غير البكاء

لملائكة تتعانق خاشقة في مراياي..
ذائبة في شموع التراتيل..
مائدة من بنفسج روحي
ولي أفق من طيور اللقاليق
ينصب أعراسه البربرية حولي
إذا دخل الليل في الليل
يلبسني في الدجى قمرا ميتا
ويغادرني غابة في نعاس الظهيرة
أعراسي الغابة الاستوائية
القمر الميت..
الكائنات التي تتناسل أشبحاها
تحت نافذتي..
كلما اضطربت في الكهوف العميقة
أمواج منتصف الليل..

مونولوج ٢

ها قد أتي الوقت..
يا موحش الذات في الذات..
ها قد أتى الوقت..
وحدك أنت، وأشجارك البيض..

مثل الشوارع موحشة وحدها..
في شتاء المعاطف والقبعات
النبوات تصدأ في بقع الماء
والصور الجاهلية، تنفخها الريح خلفك
والزمن الرث منجذب بين قطبين

***

خذ باليقين..
فإنك أنت الحجاب الذي حجب السر عنك
وتلك الشموس التي اشتعلت
في القباب الملونة
اشتعلت بك منك!

مونولوج ٣

مثل أرملة العرس..
أسدلت النحلة الذهبية أهدابها
وهوت مطرا ناعما
في بكاء الغصون
ليس في الياسمينة غير البكاء
وفي بهو سيدة القلب نافورة
ومغن حزين
ترى كيف تعبق زنبقتي
في بساتين هذا المساء الخريفي!

والكلمات التي ارتبكت خشية الله
كيف تلامس قربانها؟
كان عشقي مثلي يضم جناحيه إثر الزيارة
لم أكتمل في عبادتها..
ولهذا تلاشيت دون القبول

***

– انكسر.. فانكسرت..
– احترق.. تحترق أو تضيء..
جاءني الصوت..
– يكتمل الطقس، حين تصير لؤلؤة
في فم النار
قلت: وبرهان عشقي؟
قال:– احتراقك
قلت:– وعشقي
قال، وألقي بدهشته فوق وجهي؟
– احتراقك في الشيء.. أدنى من الشيء
والعشق أنا لا تحول..

مونولوج ٤

نهر فاغتسل أيها المغتسل
آية العاشق الفرد أن يمتثل
ولقد يصل الماء أو لا يصل

والمدى نجمة في المدى ترتحل
فاسقهم منك في روحهم تشتعل
وامش تحت حوائطهم تكتمل

الرباط ١٩٨٥

قوس الليل.. قوس النهار

شبيهة في صمتها الأخضر
بالخيل التي تصهل في ذاكرة الماضي
وبالنجم الذي يحرس أبواب الشتاء
حالمة كأنما ترفل في طقس من البهاء
ناعمة كطفلة عارية مكسوة بالماء
هل تعرفين ثمنا للحب يا سيدتي
قالت: وهل غير اكتماله بالحب؟
– والإيمان؟
قالت: عبق في الروح
– والرغبة؟ والقسوة؟ والحنين؟
والغسق الليلي؟ والتآكل الحزين
قالت: وماذا بعد؟
– في أيامنا، وأنت في أيامنا
يسقط قوس الليل، معكوسا على قوس النهار
ونحن.. نحن البشر الفانين في هذا المدار
نجيء مغلولي اليدين
نذهب مغلولي اليدين
وقد نموت مطبقي الشفاه
عاجزين..

مثلما ترين..!

مثلما ترين!

الرياض ١٩٩٣

ياقوت العرش

دنيا لا يملكها من يملكها
أغنى أهلها سادتها الفقراء
الخاسر من لم يأخذ منها
ما تعطيه على استحياء
والغافل من ظن الأشياء
هي الأشياء!

***

تاج السلطان القاتم تفاحه
تتأرجح على سارية الساحة
تاج الصوفي يضيء
على سجادة قش
صدقني يا ياقوت العرش
أن الموتى ليسوا هم
هاتيك الموتى
والراحة ليست
هاتيك الراحة

***

عن أي بحار العالم تسألني يا محبوبي
عن حوت

قدماه من صخر
عيناه من ياقوت
عن سحب من نيران
وجزائر من مرجان
عن ميت يحمل جثته
ويهرول حيث يموت
لا تعجب يا ياقوت
الأعظم من قدر الإنسان هو الإنسان
القاضي يغزل شاربه لمغنية الحانة
وحكيم القرية مشنوق
والقردة تلهو في السوق
يا محبوبي..
ذهب المضطر نحاس
قاضيك مشدود في مقعده المسروق
يقضي ما بين الناس
ويجر عباءته كبرا في الجبانة

***

لن تبصرنا بمآق غير مآقينا
لن تعرفنا
مالم نجذبك فتعرفنا
وتكاشفنا

أدنى ما فينا قد يعلونا يا ياقوت
فكن الأدنى
تكن الأعلى فينا

***

وتجف مياه البحر
وتقطع هجرتها أسراب الطير
والغربال المثقوب على كتفيك
وحزنك في عينيك
جبال
ومقادير
وأجيال
يا محبوبي لا تبكيني
يكفيك ويكفيني
فالحزن الأكبر ليس يقال

الإسكندرية – ١٩٦٦

أغصان الليل عليك

مطر ذهبي يهبط أبراجا وقبابا
في غابات الشمس..
وخيل جامحة تتزاحم تحت صهيل الريح
وبعض من أوراقك في شجر الأيام
وحائط صلبان متعانقة، وشموع ضرحي
فأذهب منفي الدم والأسطورة..
لا تغمض عينيك على عينيك سدى
واجعل من حلمك حين ينام العالم
مركبة من أنغام وعطور
وانزع قلبك مما ينزع قلبك..
مثل نبي لحظة أشعلة التاريخ
تجسد في رؤيا البشرية جوهرة زرقاء
ودائرة من نور!
وتشكل في الأسماء، وفي الأصوات، وفي الألوان
الأسود يذبل محموما في الأبيض
والياقوت الأحمر، يغرق في الياقوت الأصفر
والضدان المضطجعان
على حجر الأبدية
يلتحمان، وينفصلان

وينحدران، ويرتطمان

ويستويان!

***

في الداخل

خلف البوابات الصماء المرصودة

حول نواميس العال

تتأنق مأساة العالم

وتغيم سماء الله الأعظم خلف البوابات

وتموت الشمس، وتولد أطفال الظلمات

ولهذا سوف تظل تعانق لعنتها

وتقاتل أنفسها الأموات..

***

لو أدرك إنسان الغابات الراكض

عبر حدائقه الوحشية فوق خيول الوقت

معنى الزمن الآتي

لتهدم مبغوتا..

ولأبصر خوذته الملكية غارقة في نهر الموت

خانت بعض الكلمات وبعض الإيماءات

وها هي ذا تتمايل راعشة

أغصان الليل عليك..

وأنت بلا درب.. وبلا صاحب

يا ويح جنونك..

أين تعلق صورة شعرك

في زمن المجد الكاذب!

القاهرة ١٩٩٦

الأفعى

في ذلك الركن من قلبك
الحقير المرائى..
تمتد مقبرة ضخمة..
بغير انتهاء
فيها عبيد عرايا الأسى
عرايا الشقاء
تحمل أيديهم الشوهاء
حقد الدماء
وملء أرواحهم
نقمة على الأحياء
رأيتهم يتهاوون
في جمود المساء
والريح من حولهم
كالحوائط السوداء
والليل بئر كبير
مختلط الأشياء
وأنت.. أنت وراء الجميع
طيف القضاء
تضطجعين بصمت مر

كطعم الدماء
في هودج ذهبي
مزركش بالضياء
يدوس فوق عظام الفانين
والغرباء
فتستبد بأذني لعنة الأصداء
وتضحكين بحقد
بلذة باشتهاء
وتحلمين كأفعى
تنام في استرخاء
على رمال الصحاري
اللهيبة الصفراء
بفارس قدماه
فوق جبين السماء
أسود قد أنضجته
مواقد الصحراء..
تفوح من إبطيه
رائحة الأنبياء..
وفي خطاه..
جلال النبوغ والكبرياء

١٩٥٤

الفهرس